شاديا دروري

تعتبر شاديا دروري من أبرز الأساتذة المتخصصين في تاريخ وفلسفة وسياسات المحافظين الجدد. وهي مؤلفة الكتاب الذي حاز على استحسان واسع وعنوانه ليو ستروس واليمين الأمريكي (سينت مارتنز، 1997). وأحدث كتبها هو الإرهاب والحضارة: المسيحية، السياسة، النفسية الغربية (بالغريف ماكميلان، 2004). وترأس البروفسور شاديا كرسي كندا لأبحاث العدالة الاجتماعية في جامعة ريغينا في ولاية ساسكاتشوان، في كندا.

جيرمي إيرب: سبق أن تحدثت أنت وآخرون، على سبيل المثال سيمور هيرش من مجلة نيويوركر، عن تأثير الفيلسوف السياسي ليو ستروس على عناصر رئيسة من المحافظين الجدد داخل حكومة بوش. هل لك أن تسلطي بعض الضوء على هذا التأثير؟

أبراهام شولسكي في وزارة الدفاع، وكان الشخص المسئول عن الاستخبارات ووضع مسوّغات الحرب على العراق، تعلم مباشرة على يد ليو ستروس. وقد قال ذات مرة بأن ما تعلمه من ستروس هو أن الخديعة هي الأمر الطبيعي في السياسة. أما الشخص الآخر فهو بول ولفوويتس، وهو أحد تلاميذ ألن بلوم في جامعة كورنيل، ويعتبر من أشهر أتباع ستروس بدون منازع. وهو الذي يقف خلف مركز مشروع القرن الأمريكي الجديد (بروجكت فور ذي نيو أميركان سنتشري) وأحد القادة البارزين في حركة المحافظين الجدد، وأبرز مهندسي الحرب ضد العراق.

جيرمي إيرب: من هو ليو ستروس، وما هي أهم المبادئ الأساسية لفلسفته السياسية؟

obeikandl.com

بإيجاز شديد، كان ستروس شخصاً شديد التأثر بالمذبحة النازية (الهولوكوست). وكان مفكراً يهودياً اضطر إلى الهرب من ألمانيا خلال الحرب العالمية. وأشعر بتعاطف شديد مع ستروس لأنه اضطر إلى مغادرة ألمانيا ليبدأ بتأسيس كلية تدرس موضوعات صعبة ومعقدة وبلغة جديدة. وكان عليه أن يبدأ تعلم اللغة الإنجليزية عن طريق مشاهدة المسلسلات التلفزيونية. وأنا أعتبره ضحية من ضحايا المحرقة النازية.

ولكنه أيضاً ضحية من طريق ثانية. فقد كان نظام وايمار(*) والكيفية التي وصل بها هتلر إلى الحكم تسيطر على تفكيره وتستحوذ على عقله وآرائه. كان مهووساً بالفكرة القائلة بأن الديمقراطية الليبرالية هي التي أوصلت هتلر إلى السلطة. كان ذلك هو نموذج الديمقراطية الليبرالية في ذهنه- وكان يعتقد أن الديمقراطية الليبرالية هي أخطر أنواع الحكم، وكان يضعها على قدم المساواة مع اضطهاد اليهود واضطهاد أثينا لسقراط. وكان يفزع مما يمكن للغالبية من عموم الناس، الرعاع والأسفل درجة، أن تفعله عندما تملك السلطة، بالفئة القليلة الأعلى مرتبة. إنه شخص يخشى الديمقراطية الليبرالية، شخص يعتقد بوجوب أن توجد في المجتمع نخبة تملك القدرة على السيطرة على جمهور الناس وتوجيه عواطفهم ومشاعرهم. هذه هي أبسط طريقة يمكننا من خلالها وصف فلسفته السياسية.

جيرمي إيرب: هل لك أن تقولي المزيد حول وجهة نظر ستروس في الديمقراطية؟

(*) تطلق هذه التسمية لوصف نظام الحكم الألماني في الفترة الواقعة من عام 1919 إلى عام 1933. وقد سمي بهذا الاسم لأن البرلمان الذي أقر الدستور الذي قام عليه ذلك النظام انعقد في مدينة وايمار التي تقع في وسط ألمانيا. وفي ظل هذا النظام استطاع هتلر أن يرتقي إلى سدة الحكم على خلفية المصاعب السياسية والاقتصادية التي كانت تعاني منها البلاد. ثم قام هتلر بعد فوزه بتوقيف العمل بدستور وايمار. (عن الموسوعة البريطانية بتصرف).

إن ما تعلمه ستروس من تجربته الشخصية هو الآتي: بما أن هتلر وصل إلى السلطة في بلد ديمقراطي، فإن الديمقراطية، وتحديداً الديمقراطية الليبرالية تشكل خطراً كبيراً؛ بل هي أخطر أنواع أنظمة الحكم على الإطلاق. وقد عقد عزمه على توضيح السبل التي يمكن من خلالها منع تكرار ما حدث في ألمانيا وأوروبا من فظائع. وأراد أن يخلص أمريكا من شغفها بالديمقراطية الليبرالية. وكان يرى أن بإمكانه تحقيق ذلك عن طريق تنشئة نخبة محافظة تتمكن في النهاية من الإطاحة بالعناصر الليبرالية في الديمقراطية الأمريكية.

جيرمي إيرب: يقال بأن ستروس هو أحد آباء حركة المحافظين الجدد. هل لك أن توضحي لنا ماهية الفكر المحافظ الجديد؟

تَعتبر النزعة المحافظة الجديدة نفسها حركة محافظة في القضايا الاجتماعية، وليبرالية في القضايا الاقتصادية. هذه هي النظرة العامة للمحافظين الجدد. إلا أنني شخصياً لا أتفق مع هذا الوصف. ومن الواضح أنه وصف سطحي بعيد عن الدقة. فإذا نظرنا إلى هذه الحركة نظرة فاحصة دقيقة فسوف نجد أنه وعلى الرغم من ادعائهم بأنهم مناصرون للرأسمالية ومناوئون للاشتراكية والشيوعية، إلا أنهم في حقيقة الأمر أبناء لرأسمالية الشركات، ورأسمالية الشركات عمادها الطبقية والهرمية، والانضباط، والسلطة؛ وهي مغالية في النهج المحافظ. ولا تتوافق بأي حال من الأحوال مع الديمقراطية الليبرالية، والفردية الليبرالية. إلا أن انطباع الليبرالية وصورة الرجل الذي يصنع نفسه بنفسه هي صورة ذات جذور عميقة في النفسية الأمريكية والوعي الأمريكي. إن صورة الرجل العصامي الذي يحقق النجاح بمفرده ومن دون أي شيء، ويخرج من رحم أمه متكاملاً بكل المهارات المصقولة وكأنه لا يدين للمجتمع الذي نشأ فيه بشيء- هذه الصورة عميقة جداً في العقلية الأمريكية.

obeikandi.com

وهي صورة شائعة وتستخدم كثيراً. والحقيقة أنك لو دققت النظر حول ماهية رأسمالية الشركات، فستجد أنها تحوّل الأفراد إلى قطعان كقطعان الماشية. إنها تجبر الأفراد على أن يُساقوا كالقطعان إلى البنايات الكبيرة للمكاتب. إنها تسوقهم كالقطعان إلى المصانع. الرأسمالية هي ضد الفردية، على اعتبار أن الليبرالية تساوي الفردية. ولذلك، إذا نظرنا إلى الليبرالية على أنها رأسمالية، فحسناً، بإمكانهم أن يسموا أنفسهم ليبراليين؛ إلا أن هذه الليبرالية ستكون أضيق مفاهيم الليبرالية من وجهة نظري.

جيرمي إيرب: هل تظهر أمامك عناصر من فلسفة ستروس في النظرة الأيديولوجية لمركز المشروع القرن الأمريكي الجديد، مركز فكر المحافظين الجدد الذي عمل فيه عدد من الأعضاء البارزين في حكومة بوش قبل أن يصبح بوش رئيساً للبلاد؟

وضع مشروع القرن الأمريكي الجديد الخطوط العريضة للسياسة الخارجية للمحافظين الجدد والتي تنادي بالهيمنة الأمريكية على العالم. وهذه النظرة، كما هي مفصلة في التقارير والأبحاث الصادرة عنهم، تحتوي على عناصر مثالية وأخرى واقعية، فهم كأفراد ليسوا متجانسين فكرياً فمنهم المثالي ومنهم الواقعي. بعضهم متدينون وبعضهم علمانيون. إلا أنهم جميعاً متحدون في عداوتهم للمجتمع الليبرالي العلماني، وكلهم متحدون أيضاً في تأييد سياسة خارجية عدوانية لعدة أسباب.

وعندما تقرأ بعض الأبحاث التي صدرت عن مركز مشروع القرن الأمريكي الجديد وتحديداً التقرير الذي عنوانه إعادة بناء الدفاعات الأمريكية فإنك تجد فيه مصطلحات مثل: الجاهزية العسكرية، وحرب النجوم، وهي خطة جديدة لتسليح الفضاء. وهذه الوثيقة بكاملها مصبوغة بالقوة الأمريكية، وأن أمريكا يجب أن تكون لديها القدرة على خوض عدة حروب في وقت واحد، أو مسارح

حرب كما يسمونها، وفي أماكن متعددة من العالم وفي وقت واحد. إن هذه الخطوط العريضة للسياسة الخارجية كما يتصورها المحافظون الجدد لا تنادي بأقل من الهيمنة على العالم بأسره. وبخروج الاتحاد السوفييتي من الصراع، فإنهم يرون فرصة ذهبية للولايات المتحدة لاستخدام قوتها العسكرية التي لا تضاهيها قوة أخرى في العالم من أجل بسط سيطرتها على العالم ونشر المبادئ والمثل الأمريكية

جيرمي إيرب: عندما ذكرت أن نظرتهم إلى السياسة الخارجية تحتوي على عناصر واقعية وأخرى مثالية ما الذي تعنينه بذلك؟

واقعيتها من الناحية السياسية تأتي من منظور أن القوة هي كل شيء. وبما أننا نملك القوة فإنه يجب أن نكون قادرين على الهيمنة. ويجب أن تحكم مبادئنا ومثلنا العالم. ولكن في الوقت الذي تقول فيه هذه النظرة بأن القوة هي كل شيء أولاً وأخيراً، فإنها لا ترى للعدالة أي مكان في الشؤون والعلاقات الدولية، لأن الشؤون الدولية ما هي إلا غابة تخضع لشريعة الغاب. وهناك أناس في أوروبا قلقون حول العدالة والانفرادية الأمريكية، إلا أن هذه الوثيقة تطرح جانباً أي اعتبار للعدالة أو العمل الجماعي.

وأفضل قياس على رؤية المحافظين الجدد للسياسة الخارجية نجده في قصة غوليفر والأقزام. وفي رواية أسفار غوليفر، يتعرض قصر الأقزام لحريق هائل فيأتي غوليفر (العملاق) لإنقاذ هذا القصر ولا يجد من حيلة لإخماد الحريق سوى أن يتبوّل عليه. وبالطبع اشمأزت الأقزام من هذا الفعل الشنيع الذي ينم عن عدم الاحترام، وغضبوا جداً من غوليفر إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا مدركين أن غوليفر لم ينقذ القصر وحسب، بل أنقذ حياتهم بفعله الشنيع. إذن، فالفكرة هي أن هناك معايير مختلفة تنطبق على الأقوياء وأخرى تنطبق على الضعفاء. ونجد أن آلن بلومز وهو من أتباع ستروس ومن كبار المؤثرين على

فكر المحافظين الجدد، عنْوَن أحد كتبه العمالقة والأقزام، ونتلمس في هذا الكتاب شغف المؤلف بقصة غوليفر.

والفكرة هنا هي أن الأقوياء لا يمكنهم القيام بأفعال تعود بالفائدة على الجميع إلا إذا استطاعوا نشر قيمهم ومبادئهم الخاصة. وثمة مثالية مؤكدة في هذا الفكر، لأن هناك اعتقاداً بأن المبادئ الأمريكية هي مبادئ خيّرة وسامية وأعلى من مبادئ الآخرين. إذا كنا نستخدم القوة، وبغض النظر عن مدى الإجحاف الذي قد يصيب الآخرين من جراء استخدام هذه القوة، فإن الافتراض أن العالم في النهاية سيشكرنا كما شكر الأقزام غوليفر بعد أن أخمد الحريق. هذه هي الفكرة الأساسية. وبعبارة أخرى، هناك جمع بين القوة السياسية الحقيقية وقيام الأقوياء بفعل ما يروق لهم. ولا يجب عليهم أن يتصرفوا بشكل جماعي بتنسيق مع الآخرين. ولا يفترض فيهم أن يأخذوا باعتبارهم مبادئ العدالة. ولكن في المقابل هناك هذه المثالية التي تفترض بأن المبادئ الأمريكية هي مبادئ عليا وأن العالم سيشكرنا في النهاية.

جيرمي إيرب: أذكر أنك ذكرت في مكان ما بأن ستروس يعتقد بأن كارثة ستنتج إذا ما طبق مشروعه بشكل كامل، لأنه كان يعتقد أن نشر القيم الأمريكية تحمل معها احتمالات تليين الناس وإضعافهم بالنتيجة. هل لك أن تحدثينا بالمزيد عن هذا التناقض الغريب؟

يعتقد ستروس بأن نجاح المجتمع يعتمد على الاعتقاد المطلق وغير المهزوز بأن أمريكا هي أفضل من أي مكان آخر على وجه الأرض. وفي الوقت نفسه، لم يكن ستروس يتوقع بأن الأمريكان سيستجيبون لرسالته بهذا التحمس لفكرة خاصية الأفضلية أو الاستثنائية الأمريكية، هذه الفكرة القائلة بأن الأمة الأمريكية ليس لها مثيل، فأمريكا هي النجم الذي سيضيء العالم كله. لقد دفعت فكرة الاستثنائية الأمريكية الأمريكان إلى الاستجابة لأفكار ستروس استجابة لم

يكن يحلم بها ستروس في حياته، ولكنك متى ما صنعت الوحش فإنك قد لا تستطيع السيطرة عليه بعد ذلك.

كان ستروس سيمقت أن تقوم أمريكا بنشر الديمقراطية والمجتمع الاستهلاكي حول العالم، لأن هذا بالنسبة له هو بالضبط ما وصفه نيتشه بأنه الرجل الأخير، ووصفه كارل شميت بأنه تحقير الحياة. إذن، لم يكن هذا الأمر نتيجة مرجوة ومحمودة من وجهة نظرة، ولكن بالطبع ليس من المحتمل أن ينجح هذا المشروع، وأن أمريكا ستنجح في إخضاع العالم بأسره وإعطائه نموذجها الخاص من الديمقراطية الليبرالية كما يفهما المحافظون الجدد. ومشروع المحافظين الجدد يقوم على إصلاح أمريكا ثم تصدير نموذجها إلى العالم، والعمل على تحويل المجتمع الليبرالي الذي هو في نظرهم مجتمع فاسد ويؤدي إلى انتشار الأولاد غير الشرعيين، وإلى هدم الأسرة، والإدمان على المخدرات، وبالطبع لا ننسى ذكر انتشار العدمية والإباحية والخروج على سلطة الدولة والأسرة والدين، وموت الرب. إن ما يجري نقله إلى العالم هو الاقتصاد الرأسمالي الممزوج بمجتمع شديد المحافظة من الناحية الاجتماعية. إنه ليس مجتمعاً يضع الفرد فوق الجماعة أو المجتمع. ولكنه مجتمع يقدم الجماعة على الفرد، ومجتمع يقدم الفضيلة على الحرية.

وهذا بدوره ينقلنا إلى ظاهرة مثيرة جداً حول المحافظين الجدد. فهم وعلى الرغم من بغضهم الشديد للعالم العربي، إلا أنهم يحسدون هذا العالم على ما فيه من تدين، ويحسدون نساءه غير المتحررات، ويحسدون ارتفاع نسبة المواليد فيه، ويحسدون استعداد أبنائه للموت والتضحية بأرواحهم في سبيل وطنهم. وفي الوقت نفسه، يعتقد المحافظون الجدد أن الليبرالية تليّن الناس، وتسلبهم الإرادة والقدرة على القتال لتحقيق النصر في الحروب. لذلك، فإن العدو الحقيقي بالنسبة لهم هو كل ما تمثله حقبة الستينيات في الولايات المتحدة:

حركات الحقوق المدنية، الحركات النسائية، والرئيس كيندي. كانت الستينيات تشكل الفترة التي شهدت انفتاح المجتمع الأمريكي. وعلينا أن نتذكر أن المحافظين الجدد كانوا من أنصار حرب فيتنام والعهد المكارثي، وما زالوا يدافعون عن مكارثي حتى اليوم.

جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثينا عن فكرة "النخبوية" الموروثة في هذا الفكر، وما إذا كان يمكن التوفيق بين ذلك وبين حب ستروس لأمريكا؟

كان ستروس يزدري عامة الناس لأنهم في نظره تنابل ولا همّ لهم سوى إشباع رغباتهم وشهواتهم. وأن السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله حفزهم إلى التضحية بأنفسهم في سبيل أمتهم وربهم هو بإيجاد شعور بالأزمة، بالكارثة التي تلوح في الأفق والخطر الداهم. بهذه الطريقة فقط، أي بعد أن يشعروا بأنهم معرضون للخطر، يمكنهم أن يتصرفوا على قدر المسؤولية.

ومن المنظور السياسي يضم الفكر المحافظ الجديد أبعاداً اجتماعية، وأبعاداً في السياسية الخارجية، وأبعاداً اقتصادية. والمحافظون الجدد يؤيدون الديمقراطية الشعبية وليس الديمقراطية الليبرالية بالمعنى الحرفي للكلمة. وعليك أن تتذكر أن ديمقراطيتنا الليبرالية هي نوع من الديمقراطية التي تمتد جذورها إلى ثقافتين: إحداهما هي التقليد الليبرالي، والأخرى هي التقليد الديمقراطي. وينصب اهتمام التقليد الليبرالي على الحرية: حرية الفرد في فعل ما يشاء ما دام أنه لا يتعرض لأحد بأذى. ولا يعبأ الليبراليون بالكيفية التي يتم فيها تحقيق ذلك، سواء أكانت عبر ملكية دستورية أم عن طريق جمهورية ديمقراطية وجوهرها حكم الأغلبية. ومن وجهة نظري أن المحافظين الجدد يؤمنون بالديمقراطية السياسية ولكنهم يناهضون الليبرالية. وقد عملوا على دق إسفين بين الليبرالية من جهة والديمقراطية من جهة أخرى لأنهم يعتبرون

الليبرالية خطراً على المجتمع. ولكن في واقع الأمر، ماذا تعني الديمقراطية من غير الليبرالية؟ سنكون أمام ديمقراطية ليست سوى دكتاتورية الأغلبية.

وعلينا أن نتذكر أن الديمقراطية ليست نظام حكم منزه عن التشكيك والنقائص. وما من شك أن أفضل نظام للحكم يجب يكون محدداً بالتقاليد الليبرالية التي تؤكد على حقوق الأفراد، وعلى حقوق الأقليات، وعلى تقييد السلطة التنفيذية. هذه هي القيود الإيجابية التي أضفتها الليبرالية على الديمقراطية. ومن المفارقة أن يستفيض المحافظون الجدد في توجيه انتقاداتهم اللاذعة حول أزمة الديمقراطية الليبرالية في الوقت الذي يعملون فيه على إيجاد الأزمة ذاتها التي يجعجعون حولها، وتحديداً ما يقومون به من هدم للجوانب الليبرالية في الحقوق المدنية.

وقانون الوطني هو مؤشر واضح على قيامهم بالقضاء على الحقوق المدنية والحريات الفردية، وعلى أفضلية الفرد، وعلى حقوق الأقليات. والمحافظون الجدد يسيئون ويستغلون الثغرات الضعيفة في الديمقراطية. فالديمقراطية غير محصّنة ضد دكتاتورية الأغلبية؛ وغير محصنة ضد حاكم داهية يحسن التلاعب بعواطف وعقول الناس عن طريق الأكاذيب والتضليل الإعلامي. وهو ما يفعله المحافظون الجدد فعلاً؛ فهم يستخدمون الشعب أداة لتدمير الليبرالية. وهدفهم واضح تمام الوضوح، وهو إقناع الناس بأن الليبرالية والحرية التي يتمتعون بها هي التي أودت بهم إلى الهاوية. ويبدو لي أن الخوف هو أقوى حليف للدكتاتورية. وإذا تمكنوا من إقناع الناس أن التحررية ستؤدي إلى الإباحية، وارتفاع نسبة المواليد غير الشرعيين، وانفصام عرى الزواج والأسرة، وانعدام الأمن، والإرهاب، فإن الناس سيتنازلون عن حرياتهم دون نقاش.

جيرمي إيرب: هل فلسفة ليو ستروس السياسية فلسفة نسبية؟ هل أساس فكر المحافظين الجدد اعتراف بأنه لا يوجد أساس أصلاً، وأن القوة هي كل ما هنالك وحسب، وأن القوة هي بحد ذاتها شيء أخلاقي؟

من الأمور التي ينبغي توضيحها هو أن معظم المحافظين الجدد لا يفهمون ستروس حق الفهم. وفيهم عدد كبير لم يقرأوا مؤلفاته. وكل ما أخذوه عن ستروس هو نزعة محددة هي فكرة الشعور بالأزمة، الشعور بالكارثة التي تلوح في الأفق، والخطر المحدق الذي جناه المجتمع الليبرالي على نفسه، وأن الإباحية و"موت الرب" هي أمور خطرة. وتمتد جذور الفلسفة المناهضة للحداثة إلى نيتشه. ونيتشه كان يقول لا يوجد حقيقة، وكل شيء في هذا الوجود هو تفسيرات؛ وأن الحقيقة في واقع الأمر ما هي إلا إظهار مقنّع لقوة الإرادة. وإذا كانت ادعاءات الحقيقة كلها هي مجرد قناع، فإننا نكون أمام خيارين: إما أن نعمل على نزع ذلك القناع والكشف عما تحته لإظهار أنه بدون أساس يقوم عليه. أو أن نفعل العكس ونقول إنه وضع خطير جداً. وما من خرافة في هذا العالم إلا وتم استغلالها. فما الذي يجب علينا فعله؟ ربما أننا يجب أن لا نجعل من الأمور أقل أمناً، وربما أننا يجب أن نحوّر الخرافة والوهم ونستخدم مهاراتنا الفلسفية في قراءة التقاليد بدلاً من إيجاد قدر مؤكد من الاستقرار.

أعتقد شخصياً أن ليو ستروس وآلِن بلوم كانا مناهضين للحداثة. وكانا يعتقدان أن نيتشه كان على حق، إلا أننا نعيش في وضع خطير. لذلك ظن ستروس في نفسه أنه رجل على طرف النقيض من زمانه. كان رجل عصره بمعنى أنه كان شخصاً يخشى مذهب الشك ولكنه خال من الإيمان.

جيرمي إيرب: لك كثير من الكتابات حول إيمان ستروس "بالكذبة الشريفة"، وحول قيام هذه الفلسفة السياسية على الخديعة. وقمت بالربط بين الكذبة الشريفة وما نشاهده من ممارسات إدارة بوش. وسؤالي هو أليست السياسة والخطاب السياسي- سواء أكان صادراً عن المحافظين الجدد أم عن غيرهم- تعتمد دائماً على نوع معين من الخديعة؟ ما الفرق الذي يهمك هنا؟

كان ليو ستروس يفسر فكرة "الكذبة الشريفة" لأفلاطون تفسيراً مناهضاً للحداثة. وبإمكانك أن تحاجج بأن السياسة أياً كانت لا يمكنها أن تتخلى عن الكذب. عليك أن تكذب على العدو، وبالتأكيد عليك أن تخفي عنه معلومات محددة طول الوقت لأسباب أمنية. إلا أن الحديث عن إخفاء المعلومات الإستخبارية والكذب على العدو شيء، والحديث عن ممارسة التلاعب بعواطف وأفكار الشعب باستمرار هو شيء آخر. والقول بأن الكذب هو الأمر الطبيعي في السياسة يعني هدم الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية نفسها. ولو كان للديمقراطية أي ادعاء بأنها أفضل نظام للحكم، فما ذلك إلا لأن الرأسين أفضل في التفكير من الرأس الواحد، ولأن الناس يمكنهم استخدام عقولهم وإحساسهم الفطري والنقاش العلني حول القضايا التي تهمهم واتخاذ الحلول المناسبة لها. وعندما تكذب على الناس فأنت تسلبهم فرصة التصرف والحكم على الأمور بشكلها الصحيح لأنهم يفتقرون إلى الحقائق. وهذا هو ما تفعله الحكومات عندما تكذب على شعوبها. إنهم يحولون شعوبهم إلى مجرد دمى مسخرة لأهدافهم، ويحرمون تلك الشعوب من فرصة النقاش والمداولة.

لذلك فإن الكذب المنظم هو نوع من التلاعب الذي يظهر أن الديمقراطية قابلة للفساد. وإنه لإفساد كبير وعميق للديمقراطية أن تنظر إلى الناس على اعتبار أنهم كتلة من البشر يقوم بتحريكها والتلاعب بها نخبة متعلمة مقتنعة بأنها تعرف الحقيقة، وأنها وحدها التي تملك الحقيقة. ومثل هذه النخبة لا يمكنها أن تتعلم شيئاً من مناقشات الآخرين ومناظراتهم وذلك لقناعتهم التامة بأنهم وحدهم الذين يعلمون الطريق الصحيح للآخرين.

جيرمي إيرب: كتب أيضاً حول تحديد ستروس لثلاثة أصناف من الرجال، هل لك أن توضحي لنا ذلك؟

يقسم ستروس الرجال إلى ثلاثة أصناف: الحكماء وهم قلة قليلة، والنبلاء، ثم السواد الأعظم من العوام. ويرى ستروس أن من شبه المستحيل أن يتولى الحكماء السلطة والحكم بشكل مباشر، إلا أن ممارستهم الحكم عن طريق غير مباشر ممكنة وسهلة طالما ضمنت تعاون صنف خاص من الناس أطلق عليهم ستروس وصف النبلاء. وهؤلاء النبلاء في نظره هم طبقة من الرجال الذين يؤمنون بالرب، ويبتغون الشرف، ويؤمنون بالأخلاق، ولكنهم ليسوا على درجة من الفطنة والذكاء. وهم يحبون الحرب بكل تأكيد لأن الحرب هي مصدر الشرف. وبذلك فهم من صنف "الماتشو" ولكنهم ليسوا من الفُطَّن الأذكياء. والأفضل أن لا يكونوا فطنين لأنهم لو كانوا كذلك لما سهل على الحكماء تسخيرهم وتوجيههم. وواجب الحكماء هو تثقيف النبلاء. وعليهم أن يرشدوهم ويوجهوهم، وسيكون توجيههم أسهل إذا كفّوا عن طرح الأسئلة الكثيرة. والنبلاء لديهم استعداد للتوجه إلى المعركة والقتال في سبيل الوطن. وهم وطنيون إلى أبعد الحدود، ولا يشككون بوطنهم. ويمكنك القول بأن ستروس كان يسعى ومن أكثر من طريق إلى توفير أفضل الفرص لتولي الحكماء السلطة من خلف الكواليس والتحكم بالنبلاء. إلا أن ذلك غير ممكن إلا إذا أولى النبلاء أذناً صاغية للحكماء. وأثناء حكم ريغان وحكومتي بوش الأول والثاني، تدافعت زمرة الستروسيين من المحافظين الجدد إلى الحكومة لقناعتهم بأن هؤلاء الرؤساء هم من نوع الرجال الأقوياء الذي سيصغون إليهم.

جيرمي إيرب: ما الذي كنت تعنيه عندما قلت في مقابلة أجريت مؤخراً بأن هناك "شغف رجولي" في نظرة المحافظين الجدد العالمية؟

من أبرز الجوانب المهمة في هذا الفكر المحافظ الاجتماعي هو -بالطبع- فكرة "القيم الأسرية"، وهذه العبارة هي تعبير مهذب عن فكرة إبقاء المرأة في البيت وحصرها في وظيفتها البيولوجية. وهذه الفكرة تقوم على سببين: الأول،

فتح المجال أمام الرجال لقيادة العالم، لأن الرجال الحقيقيين هم أعلم وأدرى بإدارة العالم بعيداً عن تدخل النساء. الثاني، ولأن العالم يعج بالأخطار الداهمة، والتهديد المستمر، والأعداد غير المتناهية من الأعداء، فإنه يتحتم علينا خوض حروب كثيرة، وسنحتاج إلى المرأة لتكون مصنعاً لإنجاب الأطفال لأن هذه الحروب ستتطلب أعداداً كبيرة من الجنود. هذه هو الأثر الواقعي في الفكر المحافظ الجديد. وثمة نوع من الشغف الرجولي في هذا كله؛ إنه نوع من نظرة "الماتشو" للعالم. ويمكن أن تشاهد هذه النظرة بكل وضوح في كتابات روبرت كيغان، على سبيل المثال، والتي ينعى فيها على أوروبا تخنثها ولينها ودلالها، بينما نحن الأمريكان نعيش في العالم الحقيقي: عالم سياسات القوة. أما الأوروبيون فهم منشغلون بالعدالة والعمل الجماعي. والعدالة هي للضعيف. إلا أن هذا الشغف الرجولي مبني على تصوّر شاذّ ودنيء للرجولة، والعنف، والسيطرة. وهذا النوع من الرجولة لا يمكنه الاستمرار طويلاً لأنه لا بد أن تظهر في النهاية دول، حتى من الحلفاء السابقين، ترغب بالتخلص من هذا النظام الأمريكي المتسلط.

جيرمي إيرب: ما هي نظرة ليو ستروس للدين، وما علاقتها بالنزعة الدينية التي نلحظها في جورج بوش؟

علّم ستروس أتباعه من المحافظين الجدد بأن الدين هو عماد ولحمة المجتمع، وأن المجتمع بدون دين سينهار. وكان ستروس يعتقد أنه لا أساس للأخلاق غير الخوف من نار جهنم والحياة الآخرة، وأنه لا سبيل سواهما لحفز البشر على الالتزام بالأخلاق. وتعكس هذه النظرة نوعاً من التشاؤم حول طبيعة الإنسان تنطبق مع النظرة الدينية. ويوجد من بين المحافظين الجدد متدينون مخلصون، أما البقية فينظرون إلى الدين باعتباره أداة سياسية نافعة، وهي نظرة ستروس. وعندما ينظرون إلى مؤسسي الدولة الأمريكية، نجد، على سبيل المثال، أن إيرفنغ كريستول يعتبر أنه كان من الخطأ عزل الدين عن السياسة وحصره

في الإطار الفردي الخاص، لأنهم يعتقدون أن الدين يشكل أداة سياسة قوية. وبإمكانك أن تلحظ هذه النظرة في خطابات جورج دبليو بوش. فهو يذكر دائماً أن الرب يحب أمريكا، وأن الرب يقف في صف أمريكا، وأن أعداء أمريكا يقفون في صف الشيطان. ومن الملفت للنظر أن هذه اللغة الإنجيلية وهذه الثنائية بين الخير والشر نجدها أيضاً في خطابات أسامة بن لادن الذي يرى أمريكا بأنها الشيطان الأكبر. لذلك فهي ليست خصيصة قاصرة على بوش وحده.

وقد صرح بوش مؤخراً بأن المسلمين والنصارى يعبدون إلهاً واحداً. وهو محق في ذلك أكثر مما يدرك. فالرب ينبغي أن يبقى بعيداً عن السياسة؛ لأن السياسة أساسها التعددية والتنوع، وإمكانية تعايش الأفراد الذين يختلفون في معتقداتهم حول الأمور الغيبية. وما نحن بصدده هنا هو أن الرب في صفّنا وأن أعداءنا هم في صف الشيطان. وهذه النظرة المزدوجة للحياة تؤدي إلى التطرف السياسي.

إن إقحام الدين في السياسة يعني المزاوجة بين الرب والأمة. وليو ستروس نفسه ما كان ليبقى لولا كارل شميت وتصوره في أن السياسية تستند أساساً على التمييز بين الصديق والعدو. وهذا هو المميز الأكبر في السياسة بحسب رأي كارل شميت. وكان شيمت عالماً ينتمي إلى اليمين الألماني المتطرف، واتفق ستروس معه بالكامل في أن التمييز بين الصديق والعدو هو أمر ضروري في السياسة، إلا أنه لم يكن مقتنعاً بموقف شميت في عزل السياسة عن الأبعاد الأخرى للحياة الاجتماعية كالجمال والأخلاق. وكان يرى أنه يجب أن ندمر العدو لأنه عدو وليس لأنه شرير أو بشع أو لأنه يضرنا اقتصادياً. ورأى ستروس أن هذا الموقف غير واقعي. وقال بأن تصوير العدو بأنه شرير سيخدم السياسة بشكل أفضل. وإذا ألحقنا الدين بالسياسة لكي نجعل العدو يبدو ضد الرب، وضد الحقيقة، وضد العدل، فإن ذلك سيقوي السياسة، وبالطبع سيقوي من

عزم الأمة على تدمير العدو. إلا أن هذه النظرة تنأى بالسياسة عن الاعتدال والتوسط، وتقودها إلى التعصب والتطرف. وبهذه الطريقة، فإن النهج المحافظ الجديد هو في غاية التطرف. إن إقحام الدين في السياسة يجعل من هذه الأخيرة أقل اعتدالاً إلى حد أبعد مما وصل إليه النهج المحافظ التقليدي.

جيرمي إيرب: ما هي أهم الفوارق التي تميز النهج المحافظ التقليدي عن النهج المحافظ الجديد؟

بصفتي من التيار الليبرالي فإني أشعر بالتعاطف مع المحافظين التقليديين، لأنني أعتقد أن كل مجتمع مهما كان بحاجة إلى شيء من النزعة المحافظة فيه. والشخص المحافظ التقليدي هو شخص يفضل المجرَّب على غير المجرب، هو شخص يحترم القيم السائدة، معتدل، ذو ضمير، ولا يحب التغيير. وليس من بين هذه الصفات صفة واحدة يمكن أن تجدها في المحافظين الجدد. بل على العكس، إنهم يرفضون النهج المحافظ التقليدي رفضاً ظاهراً، ويقولون بأنه نهج ممل ولا يمكن الاعتماد عليه للفوز في الانتخابات. وربما أنهم محقون في ذلك، ولعلهم يعتقدون أن أمامهم الكثير لتسويته مع الواقع، لأن المحافظين التقليديين يحاولون المحافظة على ما هو حسن في الواقع. في حين أن المحافظين الجدد لا يجدون شيئاً حسناً في الواقع الأمريكي. ويقول إيرفنغ كريستول هناك الكثير مما يمكن مقته حول الواقع الأمريكي. لذلك فليس من الممكن أن يقبلوا بالأفكار والسياسات المحافظة التقليدية وما شاكلها. وعبر نوت غينغرتش(*) عن رأي مشابه عندما قال بأننا ينبغي أن نبدأ من صفحة جديدة.

ونشاهد الشيء نفسه ينعكس على مشروع القرن الأمريكي الجديد: فكرة أن السياسة هي كالحرفة، وبإمكانك أن تعيد تشكيل العالم. بإمكانك أن تعيد

(*) نوت غينغريتش: (1943-) اسمه الأصلي نيوتن ليوري ماكفيرسن. شغل منصب رئيس مجلس النواب في الكونغرس الأمريكي من عام 1995 وحتى عام 1999. وهو من الحزب الجمهوري ومن حلفاء المحافظين الجدد.

اختراع العالم على هيئتك. إلا أن السياسة ليست من ذلك بشيء، إنها ليست كتشييد صرح، أو صنع حذاء، أو بناء منزل. في السياسة عليك أن تبدأ من شيء موجود أصلاً: شعب، قيم، عادات ومُثُل، على سبيل المثال. لذلك يقال بأن السياسة هي فن الممكن. هذا هو ما يدعو إليه النهج المحافظ، وهو درس رفضه المحافظون الجدد.

جيرمي إيرب: مع كل هذا الحب الذي يكنه ستروس لأمريكا، هل هناك شيء متأصل في فلسفته، أو في النهج المحافظ الجديد، مضاد لأمريكا وكل ما هو أمريكي؟

هذا يعتمد على فهمك لما هو أمريكي. فتحديد ما هو أمريكي هو مسألة معقدة. وإذا فهمت أمريكا، كما يفهمها معظمنا، بأنها دولة ليبرالية في أساسها، فهم ضد أمريكا. بمعنى، إذا كانت أمريكا ليبرالية وفردية، فإنه لا يوجد في النهج المحافظ الجديد ما هو أمريكي باستثناء التزامهم نحو الاقتصاد الرأسمالي.

إنهم راديكاليون بمعنى أنهم يريدون إحداث تغيير جذري. إنهم متطرفون في نظرتهم للسياسة بوصفها أداة لصنع شيء من لا شيء. إنهم، وبتعبير أدق، رجعيون. ولست أستخدم هذه العبارة على سبيل المجاز. فهم رجعيون بالمعنى الحرفي للكلمة لأنهم يرغبون في إرجاع عقارب الساعة على كل شيء يتعلق بما يرونه من ثمار الثورة الليبرالية في الستينيات. كان بوب دول، على سبيل المثال في الانتخابات الرئاسية لعام 1965، يقول بأنه يريد بناء جسر إلى الماضي. وطبعاً نحن نعلم أن كلينتون منافسه في الانتخابات كان يقول بأنه يريد بناء جسر إلى المستقبل. ونحن نعلم ما حدث وقتها. لذلك فهم رجعيون من منظور أنهم يريدون إعادة عقارب الساعة على الثورة الليبرالية وأنهم يسعون إلى العودة بأمريكا إلى ما يشبه رومانسية العصر الذهبي الذي يربطونه بحقبة

الخمسينيات من القرن الماضي- عصر الهيبة، عصر الخوف، عصر مكارثي، وعصر الوطنية.

جيرمي إيرب: تحدثت قبل قليل عن النزعة المحافظة الجديدة وعلاقتها بالخوف، وعن هذا الشعور الواعي بالخطر وبالكارثة التي تلوح في الأفق. هل لك أن توضحي لنا المزيد عن ذلك فيما يتعلق بأحداث 11 سبتمبر؟

كان 11 سبتمبر حدثاً مهماً في البحث عن قائد سياسي مستعد لتنفيذ أجندة المحافظين الجدد، لأن المحافظين الجدد ما فتئوا يشعرون بخطر داهم، بأزمة، بكارثة تلوح في الأفق. إلا أنهم لم يجدوا من يشاطرهم هذه المخاوف. وبعد 11 سبتمبر أصبح من الممكن إقناع الناس بشعورهم نحو الأزمة وبحساسياتهم السياسية. ومن سوء الطالع أن 11 سبتمبر مكنهم من البدء في تنفيذ مشروعهم. إلا أن هذا المشروع لا علاقة له بأمن الولايات المتحدة. وفي واقع الأمر أن الحرب في العراق عملت على تحول الاهتمام عن ابن لادن وعن الإرهاب، أي عن الخطر الحقيقي. وقد أدت بالفعل إلى جعل الولايات المتحدة أقل أمناً بدلاً من تكون أكثر أمناً، لأن الإرهابيين الآن يتوجهون إلى العراق، ويشكل انعدام الأمن والسلطة هناك عنصر جذب لهم. وعندما كان صدام حسين في السلطة، كان من ألد أعداء ابن لادن والأصوليين. وأي شخص لديه أدنى معرفة بسياسات الشرق الأوسط يعرف أن هذين الشخصين كانا عدوين لدودين، إلا أنهما قد لا يكونان كذلك اليوم. وربما أنهما اتحدا ضد العدو المستعمر.

رجينا، ساسكاتشوان، كندا

26 **نوفمبر**، 2003